شعوب البربر ودورها في حمل الرسالة الاسلامية

أ . م . د علاوي مزهر مزعل المسعودي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام الهدى والدين سيدنا رسول الله (صل الله علية واله وسلم) وعلى آلة وصحبه المنتجبين الميامين الى يوم الدين .

كنا قد تناولنا في صفحات هذا البحث واحدا من اهم المواضيع في التاريخ الاسلامي والعربي الا وهو موضوع شعوب البربر ودورها في حمل الرسالة الاسلامية ، وكان الدافع لاختيار هذا الموضوع هو للتعرف على اصول هذه الشعوب ومواطن سكنها الاولى قبل هجرتها الى الشمال الافريقي وكيفية دخول هذا الشعوب الى الاسلام ودورهم في حمل الرسالة الاسلامية بعد دخولها الاسلام .

وقد قسمت بحثي هذا الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، تناولت في المبحث الاول منه أصول شعوب البربر ووجدت انه هناك أكثر من رأي في اصولهم ولكن الرأي المعتمد عند علمائهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم انهم من اصول عربية يمنية كنعانية حيث اكد هؤلاء الفلاسفة والمؤرخين على اصولهم العربية اليمنية شأنهم في ذلك شان كل الاقوام التي هاجرت من بلاد اليمن بعد انهيار سد مآرب او التقلبات المناخية والسياسية الاخرى التي طرأت على بلاد اليمن ودفعت هذه الاقوام للهجرة كما هاجر غيرهم حتى وصل بهم المطاف الى بلاد المغرب العربي واستقروا فيها كذلك تطرقنا في هذا المبحث الى الهجرات الي قامت بها هذه الشعوب وكانت هجرتين الاولى من اليمن الى بلاد الشام وهم الكنعانيون ومنهم هؤلاء البربر والهجرة الثانية من بلاد الشام الى الشمال الافريقي واستقرارهم في بلاد المغرب العربي .

اما المبحث الثاني فكان الحديث فيه عن دخول هذه الشعوب والاقوام الى الاسلام وكيف حارب هؤلاء المسلمين في بدايات وصول جحافل المسلمين الجهادية اليهم اذ وقف هؤلاء وقفة المقاتل والمدافع عن بلاده ضد الغزو الاسلامي كما اعتبروه لأول الامر، ولكن وبعد ان تبين لهم الغرض الحقيقي والهدف السامي الذي جاء المسلمين من اجله اخذت هذه الاقوام تدخل في الدين الاسلامي بل قاتل قسم كبير منهم ابناء قومهم الذين لم يدخلوا الاسلام حتى دانت كل قبائلهم بالديانة الاسلامية عدى من بقي على معتقده ودينه وهم عدد قليل قياسا بجحافلهم الغفيرة ، ولم يجبر الاسلام والمسلمين كافة الشعوب المحررة وسكان البلاد المفتوحة على الدخول فيه وترك لهم حرية الديانة والمعتقد .

اما المبحث الثالث من هذا البحث فقد كان الحديث فيه عن دور هذه الشعوب المهم والمهم جدا في حمل الرسالة الاسلامية وقتالهم الى جانب المسلمين ضد كل من حاول الوقوف بوجه انتشار الدين الاسلامي الحنيف ، وبرز مهم كبار قادة الفتح الاسلامي وخصوصا الى بلاد الاندلس (اسبانيا والبرتغال) وأبرزهم القائد طارق بن زياد الذي قاد جيوش المسلمين الى بلاد الاندلس ويعد هذا الفتح واحدا من اعظم وأكبر الفتوحات الاسلامية عبر التاريخ .

وقد اعتمدت على عدد من المصادر التاريخية واللغوية في كتابة واعداد هذا البحث كان اهمها من الكتب التاريخية كتاب الكامل للمبرد ابو العباس محمد بن يزيد

المتوفى سنة ٢٨٦هـ وكتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري محمد بن عذاري المراكشي المتوفى سنة ٦٩٥هـ وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر المسمى تاريخ ابن خلدون للعلامة الكبير عبد الرحمن ابن خلدون المتوفى سنة ٧٤٩هـ ، ومن الكتب اللغوية التي اعتمدتها كتاب لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم المتوفى سنة ٧١١هـ وكتاب المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرون بالإضافة الى كتب التفسير ومصادر ومراجع اخرى لا مجال لذكرها جميعا .

اخيرا نسال الله جل جلاله وعظم شانه ان نكون قد وفقنا في عملنا وتوكلنا علية والحمد لله رب العالمين اولا واخرا .

المبحث الاول / تعريف بشعوب البربر :-

تعرف شعوب البربر باسم الامازيغ أيضا وهم السكان الاصليين في شمال افريقيا وتحديدا سكان بلاد المغرب العربي وجزء من سكان الجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا وشمال مالي والنيجر وجزء صغير من غرب مصر الى جزر الكناري (١) اما كلمة امازيغ فهي أسم ذات شأن في تاريخ البربر العريق وأسم أمازيغ من الاسماء التي كثر الحديث عنها في السنوات الأخيرة في الساحة المغربية والجزائرية خاصة وقد اتخذ منه اصحاب النزعة البربرية شعار لسياستهم ، عبأوا له كل ما لديهم من الامكانيات لترويجه على نطاق واسع (٢) وتعنى كلمة امازيغ (الحر ، النبيل ، الشريف) (٣) وبصفة عامة فأن نسابة البربر يصنفون البربر الى جذعين كبيرين هما البرانس (ابناء برانس) والبتر (ابناء مذغيس) فالرأي القائل : ان البربر بشطرهما البرانس والبتر من اصل واحد ينحدر من نسل ما زيغ بن كنعان بن حام بن نوح (٤) وكان هذا راي النسابة الكبير ايوب بن ابي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الملقب بصاحب الحمار ، ووافقة على هذا الرأي المؤرخ الكبير والكاتب المعروف ابن خلدون (٥) وكان هذا هو الراي الاول ، اما الراي الثاني والذي تجمع عليه اغلب نسابة البربر مثل هاني بن كور، وسابق بن سليم ، وكهلان بن ابي لوا وغيرهم ، والقائل : ان البرانس من البربر من نسل ما زيغ بن كنعان بن حام بن نوح متفقين في ذلك مع ايوب الخارجي في الراي ، أما البتر من البربر فهم ينحدرون من نسل قيس عيلان المضري العدناني (٦) وهذا خلافهم في النسب مع ايوب الخارجي فقط . وبهذا الرأي يجمع أغلب نسابة البربر على ان انتماء البربر الى الفرع العربي المضري العدناني . ومن هنا جاءت فكرة تعميم أسم الامازيغ عند حسن الوزان او حسان الوزان (٧) والذي يقول : ان هذه الشعوب الخمسة المنقسمة الى مئات السلالات والاف المساكن تستعمل لغة واحدة واطلق عليها اسم (أوال امازيع) اي كلام النبيل ، بينما يسميها العرب البربرية (٨) والشعوب الخمسة التي ذكرها الوزان هي (صنهاجة، مصمودة ، زناتة ، هوارة ، غمارة) وهذه الشعوب ليست كل البربر فهناك شعوب اخرى لم يذكرها الوزان نفسه (٩) بل ذكرت في مصادر اخرى كثيرة .

الاصل العربي لكلمة أما زيغ :

عندما نحاول ان نصل الى حقيقة دامغت تدل على ان أصل كلمة أما زيغ عربية بما لا يقبل الشك علينا ان نبحث في المعاجم اللغوية العربية والمصادر التاريخية للوصول الى الحقيقة . فقد ذكر ان كلمة (مرز) المذكورة في المصادر اللغوية العربية عند مقارنتها مع كلمة (مزغ) يتبين لنا انهما متطابقتان من حيث اللفظ والمعنى ، فمن ناحية اللفظ نلاحظ ان الراء في الاولى والغين في الثانية لا يعدو ان يكون الامر فيهما مجرد تحول طرأ على الصوتين أدى الى أبدال احدهما بالأخرى وهو شيء مألوف في العربية ولغاتها القديمة (١٠) ومن حيث المعنى فأن المعنى هو نفسه في اللفظتين فهما يعنيا الحر او الشريف او النبيل (١١) وهكذا نصل الى حقيقة دامغة وهي ان كلمة أما زيغ عربية اللفظ و المعنى فضلا على انها دليل أخر يضاف
الى تأكيد الاصل الشرقي العربي القديم للبربر .وبعد هذا التحليل واراء المؤرخين المهتمين بالشأن الافريقي يؤكدون ان ارتباط سكان بلاد المغرب وشمال افريقيا بالمشرق وجزيرة العرب له جذور وتاريخ حيث

أنهم نزحوا من هناك الى شمال أفريقيا نتيجة لحروب او تقلبات مناخية بعد انهيار سد مأرب مثلا وغيرها . او من اصل كنعاني وهذا ما يؤكده المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون على اعتبار الامازيغ كنعانيين من ولد كنعان بن حام بن نوح (عليه السلام) فالكنعانيون ليسوا عربا ، وليسوا من ابناء سام (١٢) كل ما ورد من حديث الغرض منه التأكيد على حقيقة واحدة هو ان اصل البربر او الامازيغ عربا نزحوا من شبة الجزيرة العربية وتحديدا من اليمن شأنهم في ذلك شأن الكثير من الاقوام التي نزحت بعد التقلبات المناخية والسياسية التي طرأت على بلاد اليمن في تلك الفترة الزمنية وتفرقت هذه الاقوام في مناطق واسعة من العراق وبلاد الشام ومصر حتى وصلوا الى بلاد المغرب العربي واجزاء من شما ل افريقيا .

وبهذا فأن هناك عدة أراء في اصل الامازيغ (البربر) فهناك من يقول ان اصولهم اوربية : ويرى اصحاب هذا الرأي ان اصل الامازيغ يعود الى أوربا استنادا الى معطيات لغوية وبشرية توحي بأن الانسان الامازيغي من نسل الغاليين (gaylois) او لهم صلة بالوندال ممن سبق لهم ان استعمروا شمال افريقيا ، واكد عدد من الباحثين خاصة الاوربيين منهم ان اصول البربر ترجع الى الدول الاسكندنافية شمال أوربا ، والتي هاجرت اليها من منطقة القوقاز قبل الميلاد مجموعة من القبائل الهمجية تسمى بقبائل الفاندال ثم اجتاحت أوربا ، واستقر بعضها في فرنسا واسبانيا بينما عبر البعض الاخر البحر الابيض المتوسط جنوبا حتى استقروا في صحراء المغرب ، وهم يدللون على ذلك بالتقارب الشكلي بين البربر وسكان شمال أوربا والذي يتمثل في البشرة البيضاء والعيون الزرقاء ، والشعر الاشقر اضافة الى وجود تشابه مهم بين اللغات الجرمانية التي يتحدثها الفاندال واللغات الامازيغية التي يتحدثها البربر (١٣) .

وهناك قول ان اصولهم محلية : ويستند اصحاب هذا القول من المؤرخين على كشوفات علم الاثار والفنون القديمة ، ومفادها أنه تم العثور على اول انسان في التاريخ في بعض مناطق افريقيا ، وبالتالي فالا نسان الامازيغ لم يهاجر الى شمال افريقيا ولكن وجد فيها منذ البداية (١٤) واصحاب هذا الرأي باعتقادنا لا يملكون الدليل الكافي لهذا الادعاء قياسا بما ورد من ادلة او اثباتات تؤكد ان البربر او الامازيغ نزحوا من شبة الجزيرة العربية أسوت بالا قوام الاخرى التي نزحت من اليمن واطلق عليهم عدة اسماء بالا ضافة الى البربر و الامازيغ ، كان لهذه الاسماء ارتباط بأحداث تاريخية مهمة ، منها الليبيون ، النوميديون والجيديون والمور وغيرهم ، وان اسم البربر اطلقه عليهم اليونانيون حيث اطلق الرومان هذا الاسم على كل الاجانب الذين لا ينتمون الى حضارتهم حتى ان المؤرخ والفيلسوف الروماني هيرودوت اطلق اسم البربر على الفرس باعتبارهم لا ينتمون الى الحضارة الرومانية ، واطلق على سكان شمال افريقيا اسم (أما زيز) من قبل اليونانيون ايضا وهي التسمية تبناها

الامازيغيون على انفسهم (١٥) والبربر او البربرة اسم لاتيني ويعنى المتوحشين او الهمجيين البدائيين اطلق الرومان هذا الاسم على كل الاجانب وبينهم الامازيغ ، وذلك في غزواتهم لبلدان ومناطق حوض البحر الابيض المتوسط (١٦) وفي المعجم الوسيط البربر ، يبربر ، بربرة ، فهو مبربر ، ويبربر الشخص : يكثر الكلام في جلبة وصياح وغضب ونفور ، صوت عاليا عند الهياج وبربرة المساجين في الحبس علو صوتهم (١٧) وبربر الرجل بلا معنى اي تكلم كثير بلا منفعة او فائدة (١٨) وبربر الحيوان ، علا صوته وارتفع عند هياجه وبربرة الدلو : صوته في الماء (١٩) اما بالنسبة الى كلمة بربر عندما يأتي اسم : فبربر :جمع بربري (٢٠) والبربر شعب اكثر قبائله تسكن الجبال في شمال أفريقيا ومن البربر أمة اخرى يقيمون بين الاحباش والزنخ على ساحل بحر الزنخ وبحر اليمن (٢١) وينظر الى كلمة البربر على انها تعنى (الهمجي ،الوحشي ، البدائي ،الغير المتحضر .... الخ) والحاكم البربري : الغير الانساني ، هو الذي يعمل بوحشية وقسوة ، بدائي لا نظام له ولا حضارة (٢٢) وكلمة البربر ضلت ملاحقة لاسم الامازيغ طول الفترة التي بقي فيها سكان شمال افريقيا تحت سيطرة الدولة الرومانية حتى الفتح الاسلامي .

ولغتهم هي احد اللغات القديمة المصنفة كإحدى اللغات الافرو اسيوية ، تتفرع الى عدة لهجات حسب المنطقة الساكنين بها ، واشهرها (سو سيف) وهي الاكثر انتشارا في منطقة سوس في المغرب ، (وجلحيف) وهي اللهجة التي يتحدث بها سكان الاطلس الصغير والمتوسط والكبير في المغرب (وتريفت) وهي اللهجة التي يتحدث بها سكان منطقة الريف شمال المغرب ، (وتغفاليف) وهي اللهجة التي يتحدث بها سكان مناطق شمال الجزائر ، (وتميش) وهي لهجة سكان الصحراء الكبرى في كل من الجزائر وليبيا والنجير و مالي ، (وتشأ ويف) وهي لهجة سكان المناطق الشرقية من الجزائر (٢٣) وهناك اكثر من ٢٠_٣٠ % المفردات العربية يستخدمها البربر في لغتهم (٢٤).

ولعل ابرز ما يؤكد عروبة البربر هو كلام الكاتب والشاعر المعروف من اصل بربري امازيغي ، عبد الحميد بن باذغيس (ت : ١٣٥٩هـ) والذي ذكره في قصيدة له جاء فيها :-

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن اصله وقال مات فقد كذب
او رام ادماجا له رام المحال من الطلب
يانشء انت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب
وارفع منار العدل وال احسان واصدم من غصب
واقلع جذور الخائنين فمنهم كل العطب
واذق نفوس الظالمين السم يمزج بالرهب
واهزز نفوس الجامدين فر بم احي الخشب
من كان يبغي ودنا فعلى الكرامة والرحب
او كان يبغي ذلنا فله المهانة والحرب

هذا نظام حياتنا بالنور خط وباللهب
حتى يعود لقومنا من مجدهم ما قد ذهب
هذا لكم عهدي به حتى أوسد في الترب
فاذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب (٢٥)

وهنا تأكيد واضح من قبل الشاعر والسياسي المعروف ابن باذغيس على ان البربر ما هم الا شعب عربي يعتز بعروبته وبإسلامه .

هجرات البربر :

يذكر المؤرخون ان للبربر هجرتين :- **الهجرة الاولى** : هجرة الكنعانيون من اليمن و استقرارهم في بلاد الشام في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وسكنوا مدينة أوغاريت وأسسوا مدينة وحضارة اوغاريت الكنعانية لمنطقة الساحل السوري عام ١٤٣ ق .م ، وهولا هم ابناء(أمازيغ بن كنعان) والذين قيل عنهم انهم البربر(٢٦) **الهجرة الثانية** : موجة الانتقال الى المغرب في القرن الثاني عشر ق .م حيث انتقلت قبائل امازيغ بن كنعان الذين سكنوا باليمن وبلاد الشام الى بلاد المغرب وساقهم اليها الملك افريقيش بن ذي المنار بن الرائش من ملوك التبابعة اليمنين وهو والد الملك شمر يهرعش عام (١١١٨- ١١٤٢) ق ـ م ، وكان ذلك حسب ما ذكر في عهد النبي موسى (عليه السلام) اذ ساق هذا الملك البربر من اليمن وبلاد الشام الى المغرب العربي واسكنهم فيها ، وبنى مدينة افريقيا التي سميت باسمة بتونس كمستوطنة تجارية واسكن فيها قبائل امازيغ بن كنعان وصنهاجة وكتامة ببلاد المغرب وسماهم البربر واستمرت موجات الانتقال لقبائل البربر الحميرية اليمنية من اليمن الى المغرب في زمن الملك (ياسر النعم والملك شمر يهرعش) من ملوك التبابعة حيث اسسوا مدينة قرطاجة في تونس (٢٧) وهنا نكون قد بينا دور الملك افريقش في هجرة القبائل البربرية ايضا كواحد من الملوك الذين كان لهم دور في ذلك.

دخول شعوب البربر في الاسلام:

الشعب المغربي شعب واحد نشأ من جنس واحد هو شعب البربر بقبائله وفروعه وقد ضل هذا الشعب قبائل متفرقة لا يربطها رابط حتى جاء الاسلام فربط بين هذه الشعوب ، واقبل عليه البربر وهم يدينون بفضله في جمع شعوبهم ووحدتهم ، واول من وصل من القادة المسلمين العرب الى بلاد البربر هو القائد العربي المسلم عقبة بن نافع الفهري (٢٨) اما ديانتهم قبل وصول الاسلام اليهم فلم تكن لهم ديانة موحدة فقد تأثرت شعوب شمال افريقيا بالشعوب التي احتكوا بها فمنهم من تأثر بالديانة المصرية وعبدوا اللاه امون اله المصريين القدماء ، وكذلك الهة الفينيقيين مثل اله (كانيت) وكذلك عبدوا الشمس والقمر وتقديس ارواح الاجداد(٢٩) .

بالتأكيد كان للسياسة الحكيمة التي اتبعها العرب المسلمين في بادئ الامر مع سكان شمال أفريقيا الاصليين من البربر دور كبير في اثارة روح التعاون بينهم (العرب المسلمين والسكان الاصليين من البربر) وذلك بالتقرب اليهم ، ونشر الاسلام بينهم واشاعة المساوات معهم ، ومن ثم التعاون سوية في سبيل استكمال فتح بقية مناطق المغرب العربي ، وبعد ان تمت هذه الخطوة اصبح الجو مهيأ بينهم للعمل

المشترك في خدمة الدولة العربية الاسلامية ، وذلك بالعبور الى القارة الاوربية وفتح بلاد الاندلس ، وغيرها من مدن الساحل الاوربي على البحر الابيض المتوسط والتخلص من حكم الغوط الغربيين ، وقد قادة هذا العمل المشترك كل من القائد العربي موسى بن النصير (٣٠) وطارق بن زياد(٣١) وهما البطلان اللذان انجزا التحرير النهائي لبلاد المغرب العربي(٣٢) بكل مدنه ومناطقه ، بدأت عمليات فتح بلاد المغرب في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ، عندما فتحت برقة وكانت تتبع ولاية مصر الرومية ، وطرابلس على يد القائد العربي عمرو بن العاص ولم يأذن الخليفة عمر بن الخطاب للمسلمين بالتوغل اكثر بعد هذه النقطة ، معتبرا ان تلك البلاد مشتتة للمسلمين ، كونها مجهولة وليس للمسلمين عهدا بها ، ودخولها سيكون مغامرة قد لا تكون عواقبها محمودة (٣٣) توقفت حركة الفتوحات الاسلامية بعد مقتل عثمان بن عفان لانشغال الخليفة الراشدي الرابع علي بن ابي طالب (عليه السلام) بإخماد الفتن الداخلية وخاصة فتنة اهل الشام التي اثارها والي الشام معاوية بن ابي سفيان ، ولكن بعد استقرار الاوضاع في الدولة العربية الاسلامية ابان العهد الاموي وجد الحاكم الاموي عبد الملك ابن مروان متسعا من الوقت ليقوم بأعمال حربية في المغرب فتابع المسلمين الزحف غربا طيلة عهده وعهدة خليفته الوليد بن عبد الملك حتى تم تحرير كامل بلاد المغرب من قبل العرب المسلمين ، وانسحبت معها اخر الحاميات الرومية (٣٤) واطاعة كافة قبائل البربر وانضوت تحت لواء الدولة الاسلامية. اقبل البربر على اعتناق الاسلام منذ السنوات الاولى للفتح العربي الاسلامي ، وأنضم الكثير منهم الى الجيوش الفاتحة ، وشاركوا العرب المسلمين في الغزوات والمعارك ضد الروم وضد بني قومهم الذين لم يدخلوا الاسلام بعد واستمر البربر يدخلون في الاسلام تباعا مع تقدم الفتوحات ، حتى انتهى أكثرهم الى قبول الاسلام وبقيت قلة صغيرة على المسيحية واليهودية والوثنية ، كذلك أثرت الفتوحات في المغرب على ديمغرافية شبه الجزيرة العربية ، اذ فرغت بعض القرى والبلدات في الحجاز واليمن من اهلها بعد ان هاجروا كلهم للجهاد واستقروا في البلاد المفتوحة حديثا ثم التحقت بهم عائلاتهم (٣٥) ومن ابرز هؤلاء بنو هلال ، ومع مرور الزمن استعرب الكثير من البربر وخصوصا أهل المدن ، بينما بقي سكان الريف محتفظين بهويتهم القومية وقد ظهرت عبر التاريخ الاسلامي للمغرب العديد من السلالات البربرية الحاكمة التي حملت لواء الدفاع عن الاسلام والمسلمين ، مثل المرابطين والموحدين كما اصبحت المغرب احد مراكز الثقل الاسلامي في العالم (٣٦) وكان لشعوب البربر من سكان المغرب الدور الكبير في حمل راية الجهاد والانتقال الى أوربا عبر البحر الابيض المتوسط لنشر العقيدة والديانة الاسلامية .

دور شعوب البربر في حمل الرسالة الاسلامية :-

لاشك ان شعوب البربر في افريقيا وخصوصا في بلاد المغرب العربي حاربت الاسلام والمسلمين لخمس وعشرين سنة متصلة تقريبا وكان ذلك في بدايات الفتح العربي الاسلامي لمناطقهم ووصول جحافل الاسلام الاولى اليهم ، وهم انفسهم الذين حملوا راية الاسلام الى بلاد الاندلس (٣٧) ونحن الان بصدد الحديث عن شعب عظيم

من شعوب الامة الاسلامية ، هذا الشعب قدم للإسلام والمسلمين الكثير من الخدمات ، انهم المسلمين الذين سكنوا شمال افريقيا في بلاد المغرب العربي وجنوب مصر والسودان ، انهم شعب البربر (الامازيغ) والغاية من ذكر الاسمين لهذا الشعب العريق هو لتوضيح خلط الاوراق والتـــطورات لدى الكثير من الكتاب والباحثين في امر هذا العنصر الاسلامي المتميز والفريد .

وتاريخيا فان الروم هم الذين شوهُ صورة هذا الشعب الابي العريق تحت اسم البربر والتي تعني في الرومانية (الهمجي) وحاشا لهذه الشعوب ان تتصف بهذه الصفة ، فهذه الشعوب هم الامازيغ نسبة الى ما زيغ بن كنعان بن نوح (عليه السلام) ، بل الرومان اطلقوا اسم البربري على كل من لم يكن رومانيا فهو بربريا ! فلفظة بربري ليست عيبا ابدا ، بل هي شرف ما بعده شرف في منظورنا الاسلامي ، فلو عرفنا كمسلمين ما قدمه هؤلاء البربر للإسلام والمسلمين لتمنى كل مسلم ان يكون بربريا وقد تخفى على البعض بان خيرة علماء ومجاهدين هذه الامة هم من البربر (٣٨) وابرزهم القائد المسلم من اصل بربري طارق بن زياد (ت : ١٠٢ هـ) وعباس بن فرناس (ت:٢٧٤هـ) مكتشف الطيران واول من حاول الطيران ويوسف بن تاشفين (ت :٥٠٠هـ) مؤسس دولة المرابطين ، وابن البيطار (ت:٦٤٦هـ) وهو عالم نباتي وصيدلي مسلم له دور كبير في علم النبات والصيدلة وابن بطوطه (ت:٧٧٩هـ) الرحالة المعروف ، ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ) مؤسس علم

الاجتماع ، وغيرهم الكثير (٣٩) فهؤلاء جميعا من البربر ويفتخرون بذلك ، ونفتخر نحن بهم كمسلمين ، ومن يريد الطعن بالبربر انما يحاول الطعن بالإسلام والمسلمين.

فتح الاندلس :

لعل اكبر المواقف الجهادية التي تحسب لشعوب البربر هو مشاركتهم الفعالة في عمليات فتح بلاد الاندلس ، ومن العجب كما قلنا سابقا ان البربر الذين حاربوا الاسلام والمسلمين لأكثر من خمسة وعشرين عام متصلة هم انفسهم الذين يحملون راية الاسلام الى الاندلس ، وربما يكون القائد طارق بن زياد نموذج رائعا للفارس المسلم الذي قاد جموع المسلمين لفتح بلاد الاندلس .

ولم تتوسع المصادر والروايا ت التاريخية العربية الاسلامية كثيرة في الحديث عن اصل ونسب قائد جيش المسلمين لفتح بلاد الاندلس طارق بن زياد قبل ان يتولى ولاية طنجة ، ففي عام ٩٢هـ \ ٧١١م أعد القائد العربي موسى بن نصير حملة عسكرية كبيرة يصل تعدادها الى تسعة الاف مجاهد من العرب البربر بقيادة طارق بن زياد والي طنجة متوجها الى الساحل الشمالي للبحر الابيض المتوسط (بلاد الاندلس) وقد تمكنت هذه الحملة بفضل حكمة وقيادة طارق بن زياد وايمان المسلمين بقضيتهم من تحقيق اهدافها المرسومة وفتح كامل بلاد الاندلس ، وكان هذا الفتح العظيم الذي دام حوالي ثمان مائة عام بمثابة قوة بوجه تحركات الاوربيين المناهضة للإسلام والمسلمين (٤٠) وقد قاد طارق بن زياد جيوش المسلمين في معارك الفتح المبين في شبة الجزيرة الايبيرية او الاندلس في رجب عام ٩٢هـ لتخليص هذه المناطق من جور حكامها الغوط الغربيين واول منطقة نزل بها طارق بن زياد حملت

اسمه تحولت لدولة مستقلة تحت التاج البريطاني حتى يومنا هذا (٤١) . ويعتبر الفتح الاسلامي لبلاد الاندلس من اعظم الانتصارات التي حققها المسلمون على الاطلاق فهو الفتح الذي تمكن من خلاله المسلمون من عبور البحر الابيض المتوسط انطلاقا من المغرب العربي وبمساعدة شعبها العريق من البربر ودخول الاندلس ومما تحمله تفاصيل هذا الفتح ان اكبر واهم الانتصارات في السنوات الاربعة التي استـــغرقتها عمليات الجهاد انطلاقا من العبور الاول في عام ٩٢هـ والسنوات التي تلتها لتحرير كامل بلاد الاندلس وكانت اعظم المواجهات تكون في شهر رمضان المبارك من كل عام (٤٢) وكلنا نعرف قدسية هذا الشهر عند المسلمين بصورة عامة

وكان الهدف الاول من فتح بلاد الاندلس هو نشر دين الله (سبحانه وتعالى) وأعلاء كلمته ولتحقيق ذلك انطلقت الفتوحات الاسلامية في شتى بقاع الارض اذ وصل الاسلام الى بلاد فارس والشام ، وحرر كل من فيها من الظلم والاستعباد والاستبداد والاستيلاء على ثروات الاخرين ونهبها من قبل الطامعين من الامبراطوريتين الكبيرتين في ذلك التاريخ الفارسية والبيزنطية ، ولم يكن الهدف من الفتوحات الاسلامية الاستيلاء على كنوز الاخرين واستغلال ثرواتهم ، فرسالة الاسلام رسالة سامية عادلة ، لا تتعلق اهدافها بالأمور المادية كما ذكر المستشرقون المغرضون وهذا ماكده الرسول الكريم محمد (صل الله علية واله وسلم) في رسالته التي تحمل كل القيم والمبادئ والمثل العليا كيف لا وهي رسالة السماء وتعالم الله (جل وعلا) . وجاء في قوله تعالى **(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها والله سميع عليم)** (٤٣) وهنا تأكيد على ان الدين الاسلامي لا اجبار ولا اكراه على الدخول فيه ، لأنه الدين الحق البين فلا حاجة الى الاكراه للدخول فيه ، وقد تميز الرشد والحق من الضلال والغي اي هناك تميز واضح بين الحق والباطل في الاسلام ، فمن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويتبرأ منها ويؤمن بالله وحده فقد استمسك في الحبل المتين من الدين للنجاة يوم القيامة والله سميع ومطلع على كل شيء ولا يخفى علية شيء (٤٤) ومن هنا نجد جحافل المسلمين المتوجهة الى ساحات المعارك الجهادية في كل الاتجاهات تسير وفق المنظور الرباني في عدم اجبار سكان البلاد المفتوحة والمحررة على الدخول في الاسلام وتركهم على معتقداتهم ودياناتهم القديمة مما حبب الناس على الدخول فى الاسلام ، ناهيك عن وصايا الرسول الكريم محمد (صل الله علية واله وسلم) في الحرب حيث كان يوصي القادة والمقاتلين بعدم الاعتداء والقسوة على الشعوب المحررة ومنح هذه الشعوب ثلاثة ايام للنظر في امرهم عسى ان يتقبلوا الدين الاسلامي بعد ان يعرفوا تعاليمه ومبادئه والهدف الذي جاء المسلمين من اجله ، وبعد انقضاء المدة المقررة يعرضون عليهم الجزية (٤٥) للكف عنهم واذا لم يستجب هؤلاء لكل ذلك يباشر الجيش المسلم بقتالهم (٤٦) والغاية من ذلك هو تجنب القتال وعدم الدخول فيه وهذه هي اخلاق الجند المسلمين وآدابهم في الحرب وفي والسلم .

الخاتمة

كنا قد تحدثنا في صفحات هذا البحث عن شعوب البربر ودور هذه الشعوب في حمل الرسالة الاسلامية الى كل ارجاء القارة الافريقية وأواسط قارة اوربا ، وبروز قادة عظام من هذه الشعوب أخذوا على عاتقهم حمل الرسالة الاسلامية والجهاد في سبيل نشر الاسلام في كل مكان تصله اقدامهم ، وقد تبين لنا من خلال البحث عن اصول هذه الشعوب وكيفية دخولها الاسلام ودورها في حمل الرسالة الاسلامية ما يلي :

١- ان شعوب البربر هم شعوب عربية نزحت من بلاد اليمن شأنها في ذلك شأن الكثير من الشعوب الاخرى التي هاجرت من اليمن الى أجزاء واسعة من الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام حتى وصلت الى المناطق الشمالية من القارة الافريقية واستقرت فيها .

وهذا ماكده نسابة البربر ومؤرخيهم وفلاسفتهم حيث اكد هؤلاء على عروبة البربر فهم شعب عربي ويعتز بعروبته ، وبرز منهم الكثير من القادة العسكريين والعلماء والمؤرخين تم ذكر اسماء لامعة منهم في صفحات هذا البحث يفتخرون بعروبتهم وتفتخر العرب بهم .

٢- حاول الكثير من المؤرخين والفلاسفة والمستشرقين الاوربيين اثبات ان البربر من أصول اوربية معتمدين في ذلك على معطيات لغوية لتشابه بعض الكلمات والمفردات التي يستعملها البربر مع كلمات ومفردات اوربية وهذا ليس كافيا لنزع البربر من هويتهم العربية ، فهناك الكثير من المفردات العربية مشابه لمفردات فارسية مثلا والعكس صحيح هل هذا يعني ان العرب فرسا او الفرس عربا ، كذلك اعتمد هؤلاء المستشرقين على بعض الملامح الشكلية والجسدية مثل لون البشرة او لون الشعر او لون العيون ، والتي كما يدعون مشابهة للبشرة او لون الشعر الاشقر الاوربية او العيون الزرقاء ، وهذا ايضا لا يدل على ان البربر من الاصول الاوربية اذا ما قارنا ذلك مع الادلة والبراهين التي اعتمد عليها المؤرخين العرب والبربر في اثبات نسب شعوب البربر الى الجنس العربي .

٣- ان عملية دخول شعوب البربر الى الاسلام لم تكن سهلة ابدا لانهم شعوب قوية ومدافعة عن كيانها واستقلالها ، ولكن بعد جهود كبيرة وحملات عسكرية مستمرة خضعت هذه الشعوب للإسلام ولسيطرة المسلمين وبعد ان تعمقوا في الدين الاسلامي وتبينت لهم مبادى الاسلام واهدافه الحقيقية ترسخ في قلوبهم وحسنَ اسلامهم وعملوا هم على توضيح عقيدة المسلمين لمن تبقى من شعوبهم لم يدخل الاسلام ، واستطاعوا اقناع الكثير من هذه الشعوب وادخالها في الدين الاسلامي حباً به وايمانا بمبادئه السامية السمحاء .

٤- وجدنا من خلال بحثنا ان شعوب البربر كان لها دور كبير ومهم وبارز في حمل الرسالة الاسلامية الى اجزاء واسعة من القارة الافريقية وقارة اوربا لاسيما دورهم الكبير في اخضاع كل افريقيا شمالها ووسطها وجنوبها للإسلام وجهادهم ضد ابناء قومهم من البربر وإخضاعهم لسيطرة الدولة العربية الاسلامية ، وكذلك سعيهم الجاد في ايصال راية الحق وعقيدة الاسلام الى اوربا ابتداء من بلاد الاندلس حتى وصلوا الى مشارف فرنسا .

٥- كان لقادة البربر امثال طارق بن زياد دور مهم في قيادة جموع المسلمين من العرب والبربر في جهادهم لنشر الدين الاسلامي في افريقيا واوربا وكانت قيادة ناجحة بكل ما تعنيه كلمة القائد الناجح ، فهم من اكثر القادة اخلاصا وحبا لعقيدتهم ودينهم ، مما أسفر عن نجاح هذه الحملات العسكرية بشكل واسع حيث استطاعوا ان يخضعوا اكبر قارة واقوى جيوش العالم آنذاك لحكمهم وسيطرتهم ، مما جعل الشعوب الاخرى تحسب لهم الف حساب .

واخيرا نسال الله التوفيق والسداد

الباحث

الهوامش

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٧٤٩هـ) تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، تحقيق تركي فرحان المصطفى ، ط٢ (بيروت ـ ٢٠٠٣م) ج٦ ص٩٠ـ٩١ ؛ العرباوي ، محمد مختار ، في مواجهة النزعة البربرية واخطارها الانقسامية ، ط١ (بغداد ـ ٢٠٠٢م) ص١٠ .

(٢) العرباوي ، المصدر نفسه ، ص١٠.

(٣) ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ـ٧١١هـ) لسان العرب ، ط٢، دار احياء التراث العربي (بيروت ـ ١٩٩٩م) ج٣ص٣٢٦.

(٤) المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت ـ ٢٨٦هـ) الكامل ، علق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط١(مصر ـ ١٩٨٢م) ج٣ص١٦٥.

(٥) العرباوي ، المصدر نفسه ، ص١٣٥.

(٦) م . ن ، ص١٣٥ـ ١٣٦ .

(٧) حسن الوزان : هو ابو علي حسن بن محمد الوزان الزياتي الفاسي المشهور ب(ليو الافريقي) او يوحنا ليون الافريقي او يوحنا الاسد الافريقي ، اشتهر بتأليفه الجغرافي في عصر النهضة ومن اشهر مؤلفاته وصف افريقيا (معلوف ، امين ، ليو الافريقي رواية تاريخية ، ترجمة عفيف دمشقية (باريس ـ ١٩٨٦م) ص١١.

(٨) محمد الحجي ، محمد الاخضر ، وصف افريقيا ، دار المغرب الاسلامي ، ط٢(المغرب ـ ١٩٨٣م) ج١ص٣٩.

(٩) العرباوي ، المصدر نفسه ، ص١٢.

(١٠) م . ن ، ص١٢ـ١٣.

(١١) م . ن ، ص١٣.

(١٢) م . ن ، ص ١٦.

(١٣) نهى زيني ، البربري الابيض ، ط١ (مصر ـ لا . ت) ص١٦٦.

(١٤) م . ن ، ص١٧٠.

(١٥) م . ن ، ص٢٠١.

(١٦) م . ن ، ص٢٠١.

(١٧) ابراهيم انيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط٤ ، مجمع اللغة العربية (بيروت ـ ٢٠٠٤م) ص٢٨٦ .

(١٨) ابراهيم انيس ، المعجم الوسيط ، ص٢٨٨.

(١٩) م . ن ، ص٢٨٨.

(٢٠) م . ن ، ص٢٨٩.

(٢١) ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣ص٢٠٩.

(٢٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ص٢٢٠.

(٢٣) حامد عبد القادر ، الامم السامية ومصادر تاريخها وحضارتها ، مراجعة وتعليق د عوني عبد الرؤف ، ط١ (مصر ـ لا . ت) ص١٩٦.

(٢٤) م . ن ، ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢٥) محمد حسين فرج ، عروبة البربر تاريخ ودلائل انتقالهم من اليمن الى المغرب

والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر، ط١ (صنعاء ـ ٢٠١٠م) ص٢٢٣ .

(٢٦) م . ن ، ص٢٢٣ .

(٢٧) ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت : ٧١٢هـ) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ليفتي بروفنسال ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ـ ١٩٧١م) ج٣ص٢٧٠.

(٢٨) عقبة بن نافع بن عبد القيس الاموي القريشي الفهري ، من كبار قادة الفـــتح في صدر الاسلام وهو باني مدينة القيروان ، ولد في حياة النبي الكريم محمد (صل الله عليه واله وسلم) وشهد فتح مصر ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص فوجهه عمرو بن العاص الى افريقية سنة اثنان واربعين للهجرة واليا عليها ، ففتحت الكثير من تخوم السودان وكورها عـــلى يده وعلا شانه بذلك (ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣ص٢٨١)

(٢٩) مجهول (ت : ٧١٢هـ) تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، تحقيق د.محمد زينهم ، ط١(القاهرة ـ ١٩٩٨م) ص٣١٢.

(٣٠) موسى بن نصير : ابو عبد الرحمن موسى بن نصير ولد عام ١٩ هـ في خلافة عمر بن الخطاب ، قائد عسكري عربي برز في عصر الدولة الاموية شارك في فتح قبرص في ايام حكم معاوية بن ابي سفيان ثم اصبح واليا على افريقيا من قبل الحاكم الاموي الوليد بن عبدالملك بن مروان واستطاع ببراعته وحنكته العسكرية ان ينهي نزاعات شعوب البربر المتوالية للخروج على حكم الامويين ، كما امر بفتح شبه الجزيرة الايبيرية ، وهو الفتح الذي اسقط مملكة الغوط في اسبانيا ، توفي هذا القائد الكبير عام ٩٧هـ (ابن عبد الحكم ، ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت:٢٥٧هـ) فتوح مصر والمغرب ، تحقيق د. علي محمد عمر ،ط١(مصر ـ ١٩٥٨م)ص٣١٢.

(٣١) طارق بن زياد : طارق بن زياد بن عبدالله بن ولغو بن ورفجوم من الـــبربر قائد عسكري مسلم قاد الفتح الاسلامي الى شبه الجزيرة الايبيرية بأمر من والي افريقيا موسى بن نصير ، خلال الفترة الممتدة بين عامي ٧١١ ـ ٧١٨ م ايام حكم الامويـــن وتحديدا خلال فترة حكم الوليد بن عبد الملك ، وينسب الى طارق بن زياد انهاء حكم الغوط الغربيين لإسبانيا ، توفي سنة ١٠٢هـ (ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب ، ص٣٦٥).

(٣٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣ص٢٩٢؛ محمد حسين الفرج ، عروبة البربر، ص٣١١.

(٣٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص٤١١؛ ذنون ، عبد الواحد ذنون ، دراسات اندلسية ، ط١(بغداد ـ ١٩٨٦م)ص١٣.

(٣٤) ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ص٢٦٤.

(٣٥) م . ن ، ج٤ص٢٦٥.

(٣٦) م . ن ، ج٤ص٢٦٥.

(٣٧) غوردو ، عبد العزيز ، الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، جدلية التمدن والسلطة تقديم د . عبد الرحيم تمري ،ط١ (الكويت ـ ٢٠١١م) ص٤٠٦.

(٣٨) م . ن ، ص٣١١.

(٣٩) م . ن ، ص٣١٤.

(٤٠) شلبي ، محمود ، طارق بن زياد فاتح الاندلس ، دار الجيل (بيروت ـ ١٩٩٢م) ص٨٧.

(٤١) م . ن ، ص٨٧ ـ ٨٨ .

(٤٢) الحجي ، عبدالرحمن علي ،التاريخ الاندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة ، دار القلم (بيروت ـ ١٩٨١م) ص٢٢٩.

(٤٣) البقرة :٢٥٦

(٤٤) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت ـ ١٩٦٨م) ج٢ص١١٠.

(٤٥) الجزية : هي ضريبة اسلامية سنوية تفرضها الدولة على الاشـــــخاص الغير المسلمين الذي يعيشون في اراضي الدولة الاسلامية المعروفين باسم اهل الذمة ، وقد اطلق عليها العلماء العديد من التسميات المختلفة منها : خراج الراس ،ومال الجماجم ، والجالية ، وقد ثبتت مشروعيتها في الكتاب والسنة والاجمـــاع ، وقال تعالى : ***(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)*** التوبة : اية ٢٩ (الكبيسي ، حمدان عبد المجيد ، الخراج في الاسلام ، ط٣ (بغداد ـ ١٩٩٨م) ص ٢٣٢) .

(٤٦) الكبيسي ، الخراج ، ص١٩٠.